



إرشاد المصمود

إلى رأي السيد الخوئي في وحدة الوجود

طالب علم

الطبعة الأولى



هيئة اليد العليا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ هـ



هيئة اليد العليا

هيئة إسلامية ثقافية فكرية هدفها خلق مجتمع خاضع لآل محمد عليهم
السلام وفق رسالتهم.

مكتب الكويت

Upperhandorg@gmail.com – www.uhorg.net

إرشادُ المصدود

إلى رأيِ السيّد الخوئي في وحدةِ الوجود

طالب علم

إرشادُ المصدود

إلى رأي السيد الخوئي في وحدة الوجود

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم المستديم على أعدائهم ومخالفهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

كثيراً ما يُنشر في وسائل الاتصال تعليقة للسيد الخوئي (قدّس سره) ويتم الترويج لها على أنها موافقة لذوق العرفاء أو أنّ السيد الخوئي يرى صحة القول بوحدة الوجود التي يعتقد بها العرفاء، وقد فندنا هذا القول في حوارات عديدة مع المنظرين لهذه الفكرة الزائفة.

وقد انتشرت هذه الشبهة حتى انطلت على كثير من المحصلين والباحثين؛ لذلك رأينا من الضروري إفراد رسالة قصيرة في الرد على هذه الشبهة، وقد عرضنا في هذه الرسالة نصوصاً واضحة وصریحة للعرفاء تبين اعتقادهم بوحدة الوجود بل والموجود، وشرحنا تعليقة السيد الخوئي بتفصيلٍ مُبين لكي ينكشف المقصود ويهتدي المصدود لرأي السيد الخوئي في وحدة الوجود.

سائلين المولى عزّ وجلّ أن ينفعنا بهذا العمل يوم لا ينفع مالٌ ولا
بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

طالب علم

١٨ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

عيد الغدير

منشأ الأوهام حول وحدة الوجود عند العوام

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى قيام يوم الدين.
وبعد..

يحاول العرفاء وبعض المتزلفين لهم التغطية على عقيدة وحدة الوجود الكفرية باستخدام تعليقة السيد الخوئي (قدّس سره) على هذه المسألة، ويروجونها بين المؤمنين؛ للتمويه عليهم، وخداعهم، وصدّهم عن الجادة بالتركيز على مسألة تعدد الأقوال حول الوحدة وأنواعها! فيدفع ذلك بعض من لا اطلاع له ولا باع في هذا المجال إلى أن يتوهم بأنّ هناك قسماً مقبولاً من أقسام وحدة الوجود، وأنّ ذلك هو الذي يعتقد به العرفاء! فيصوّر المدلسون للسدّج من الناس بأنّ السيد الخوئي (قدّس سره) يوافقهم على هذا الاعتقاد الباطل! مستغلين جهلهم بمصطلحات الفقه والفلسفة والعرفان!

وللأسف الشديد رأيت بعضاً من المحصلين سليمي العقيدة ينقل التعليقة للعوام بغرض تبرئة العرفاء والحال أنها تدينهم، وذلك

إما جهلاً بمعناها، أو تعمداً لتجنّب الإحراج حينما يسأله السائل عن عقيدة العرفاء؛ فيجئح للهروب عن الجواب باستخدام تعليقة السيد الخوئي (قدّس سره) العصبية على الفهم شيئاً على غير المتخصصين؛ فيضيع السائل بين تلك الأقوال الكثيرة وغموضها! فيؤدي به الأمر في نهاية المطاف إلى أن يكون بسبب عدم فهمه، وقلة علمه مصدوداً عن الحقّ من قبل المعاندين المضلين تارة، ومن قبل الجبناء تارة أخرى!

لذلك رأينا من اللازم في هذا المقام؛ توضيح ما التبس على المؤمنين في هذه الفتوى وما نُسّ عليهم، وأن نبيّن عقيدة العرفاء الحقيقية وبطلانها بحسب فتوى السيد الخوئي نفسه، عسى أن تتمكن بفضل الله تعالى، وبركات أهل البيت عليهم السلام من إرشاد المصدود إلى رأي السيد الخوئي في وحدة الوجود.

■ ما هي تعليقة السيد الخوئي؟

تمّ توجيه سؤال عن وحدة الوجود إلى مركز الأبحاث العقائدية؛ فأجابوا عليه بتعليقة السيد الخوئي (قدّس سره)^(١)، وهذا نص السؤال والجواب:

ما هو حكم القائل بوحدة الوجود؟

الجواب: «الأخ أبا الزين المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال السيد الخوئي (قدّس سره) في كتاب (التنقيح في شرح العروة الوثقى ج ٢ كتاب الطهارة ص ٩٣ - ٩٥): حكم القائلين بوحدة الوجود: القائل بوحدة الوجود إن أراد أن الوجود حقيقة واحدة ولا تعدد في حقيقته وإنه كما يطلق على الواجب كذلك يطلق على الممكن فهما موجودان وحقيقة الوجود فيهما واحدة والاختلاف إنما هو بحسب المرتبة لأن الوجود الواجبي في أعلى مراتب القوة والتمام، والوجود الممكني في أنزل مراتب الضعف والنقصان وإن كان كلاهما موجوداً حقيقةً وأحدهما خالق للآخر وموجد له. فهذا في الحقيقة قول بكثرة الوجود والموجد معاً. نعم، حقيقة الوجود واحدة فهو مما لا يستلزم الكفر والنجاسة بوجه بل هو مذهب أكثر الفلاسفة بل مما اعتقده المسلمون وأهل الكتاب ومطابق لظواهر الآيات والأدعية فترى إنه «عليه السلام» يقول: أنت الخالق وأنا المخلوق وأنت الرب وأنا المربوب، وغير ذلك من التعابير الدالة على أن هناك موجودين متعددين أحدهما موجد وخالق للآخر ويعبر عن ذلك في الاصطلاح بالتوحيد العامي. وإن أراد من وحدة الوجود ما يقابل

الأول وهو أن يقول بوحدة الوجود الموجود حقيقة وإنه ليس هناك في الحقيقة إلاّ موجود واحد ولكن له تطورات متكررة واعتبارات مختلفة لأنه في الخالق خالق وفي المخلوق مخلوق كما إنه في السماء سماء وفي الأرض أرض وهكذا. وهذا هو الذي يقال له توحيد خاص الخاص وهذا القول نسبه صدر المتألهين إلى بعض الجهلة من المتصوفين - وحكي عن بعضهم إنه قال ليس في جبتي سوى الله - وأنكر نسبته إلى أكابر الصوفية ورؤسائهم، وإنكاره هذا هو الذي يساعده الاعتبار فإن العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه ويدعي اختلافهما بحسب الاعتبار؟! وكيف كان فلا إشكال في أن الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة لأنه إنكار للواجب والنبى «صلى الله عليه وآله وسلّم» حيث لا امتياز للخالق عن المخلوق حينئذ إلاّ بالاعتبار وكذا النبى «صلى الله عليه وآله وسلّم» وأبو جهل - مثلاً - متحdan في الحقيقة على هذا الأساس وإنما يختلفان بحسب الاعتبار. وأما إذا أراد القائل بوحدة الوجود أن الوجود واحد حقيقة ولا كثرة فيه من جهة وإنما الموجود متعدد ولكنه فرق بين موجودة الموجود وموجودية غيره من الماهيات الممكنة لأن إطلاق الموجود على الوجود من جهة إنه نفس مبدء

الاشتقاق. وأمّا إطلاقه على الماهيات الممكنة فإنما هو من جهة كونها منتسبة إلى الموجود الحقيقي الذي هو الوجود لا من أجل إنها نفس مبدء الاشتقاق ولا من جهة قيام الوجود بها، حيث إن للمشتق اتصالات: فقد يحمل على الذات من جهة قيام المبدء به، كما في زيد عالم أو ضارب لأنه بمعنى من قام به العلم أو الضرب وأخرى: يحمل عليه لأنه نفس مبدء الاشتقاق، كما عرفته في الوجود والموجود. وثالثة: من جهة إضافته إلى المبدء نحو إضافة، وهذا كما في اللابن والتامر لضرورة عدم قيام اللبن والتامر ببايعهما إلا أن البايع لما كان مسنداً ومضافاً إليهما نحو إضافة - وهو كونه بايعاً لهما - صح إطلاق اللابن والتامر على بايع التمر واللبن، وإطلاق الموجود على الماهيات الممكنة من هذا القبيل، لأنه بمعنى إنها منتسبة ومضافة إلى الله سبحانه بإضافة يعبر عنها بالإضافة الاشرافية فالموجود بالوجود الانتسابي متعدد والموجود الاستقلالي الذي هو الوجود واحد. وهذا القول منسوب إلى أذواق المتألمين، فكأن القائل به بلغ أعلى مراتب التأله حيث الوجود بالواجب سبحانه ويسمى هذا توحيداً خاصياً. ولقد اختار ذلك الأكابر ممن عاصرناهم وأصر عليه غاية الإصرار مستشهداً بجملة وافرة من الآيات والأخبار حيث أنه تعالى قد

أطلق عليه الموجود في بعض الأدعية وهذا المدعى وإن كان أمراً
باطلاً في نفسه لابتئائه على أصالة الماهية - على ما تحقق في محله -
وهي فاسدة لأن الأصل هو الوجود إلا أنه غير مستتبع لشيء من
الكفر والنجاسة والفسق. بقي هناك احتمال آخر وهو: ما إذا أراد
القائل بوحدة الوجود وحدة الوجود والموجود في عين كثرتهما
فيلتزم بوحدة الوجود والموجود وأنه الواجب سبحانه إلا أن
الكثرات ظهورات نوره وشئون ذاته وكل منها نعت من نعوته
ولعة من لمعات صفاته ويسمى ذلك عند الاصطلاح بتوحيد
أخص الخواص. وهذا هو الذي حققه صدر المتألهين ونسبه إلى
الأولياء والعرفاء من عظماء أهل الكشف واليقين قائلاً: بأن الآن
حصص الحق واضمحلت الكثرة الوهمية وارتفعت أغاليط
الأوهام إلا أنه لم يظهر لنا - إلى الآن - حقيقة ما يريدونه من هذا
الكلام. وكيف كان فالقائل بوحدة الوجود - بهذا المعنى الأخير -
أيضاً غير محكوم بكفره ولا بنجاسته ما دام لم يلتزم بتوال فاسدة
من إنكار الواجب أو الرسالة أو المعاد. ودمتم في رعاية الله».

انتهى النقل.

■ شرح وتفصيل تعليقة السيد الخوئي (قدّس سره):

إنّ السيد الخوئي (قدّس سره) كان يناقش الأقوال في مسألة وحدة الوجود في جنبه الفقه؛ لالتهاء إلى الحكم الشرعي الذي يترتب على كل قول منها بالنسبة لقائله. وقد صرّح في بعضها بالكفر والزندقة، وفي أخرى بالبطلان والتخطئة، وإن لم يستتبع ذلك عنده الكفر والزندقة حكماً، تماماً كما هو الحال مع المخالفين المجسّمة فمقولتهم تلك هي كفر في الموضوع لا الحكم. أي أننا نحكم عليهم بالإسلام في الدنيا، ولكنهم في الآخرة يُحشرون مع أهل الاعتقادات والملل الباطلة من المشركين والكفرة، والحال ذاته بالنسبة لما تعرض له السيد في رأيه الفقهي حول الحكم على أصحاب كل مقالة لأهل وحدة الوجود، فالبحث إذن فقهي صرف لا كلامي أو فلسفي، وإن كان السيد الخوئي في جزئية بسيطة قد عرض إلى نقض عقيدة وحدة الوجود بعيداً عن الجدل الكلامي من خلال الاحتجاج بقول أحد زعمائهم كما سيتبين لنا.

■ عن أي وحدة تحدث السيد الخوئي (قدس سره)؟

هناك فرق بين (وحدة الوجود) و(وحدة الموجود)، ولكن جرى العرف بين أهل العلم على شمولهما بتعبير واحد وهو وحدة الوجود.

وحدة الموجود؛ هي نظرية فلسفية شائعة عند العرفاء والمتصوفة المنحرفين عن الإسلام وأهل البيت صلوات الله عليهم، ومفادها - حسب ما يدعون - هو أنّ جميع الموجودات والماهيات إنما هي وحدة واحدة في الحقيقة، لا تختلف عن بعضها إلا بالظهور والتكثر وما أشبه؛ كالبحر الذي هو واحد لكن أمواجه تختلف في ظهورها، وعلى هذا لا يكون ثمّة خالق ومخلوق، فالكل واحد ذو حقيقة واحدة!

جاء في مادة العرفان^(١) للدكتور الشيخ محمد شقير بعد أن عدد أنواع وحدة الوجود يقول: «تعتقد فئة أخرى وهم العرفاء بوحدة الوجود والموجود معاً. أي أنّ حقيقة الوجود أمر واحد وشخصي وأما بقية الموجودات فهي من تجليات تلك الحقيقة».

(١) مادة العرفان للشيخ محمد شقير، والتي تدرّس في جامعة آزاد الإيرانية (المصطفى) كلية الفلسفة والإلهيات.

ويضيف أيضاً: «يعتقد العرفاء أنه لا يوجد في الواقع سوى وجود وموجود واحد، وهذه الحقيقة الواحدة هي حقيقة مقيدة بجملة من القيود الاعتبارية، وهذا التقيد الذي هو سبب ظهور تلك الكثرات الوهمية وإلا فلا تكثر لا في الوجود ولا في الموجود»^(١)!

فهم إذاً يعتقدون بوحدة الموجود لا وحدة الوجود فقط، وهذا القول - أي وحدة الموجود - أشد كفراً من القول بوحدة الوجود، ففي الثاني يثبتون وحسب تمييزاً بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه بادعاء اختلاف المراتب، وإن كان الوجود في مجموعه واحداً في الحقيقة.

وبشكل مبسّط نقول؛ وحدة الوجود قول من لم يعرف الله تعالى فكأنما جعل وجود الله شيئاً وذاته شيئاً آخر!

مثلاً أنا بوصفي بشراً وجودي في الكون يعني أنني أشغل حيزاً، فذاتي شيء، ووجودي شيء آخر..

فوحدة الوجود؛ كأن تقول أنّ هناك نهران كلاهما يجريان في وقت واحد وفي مكان واحد - نظير مرج البحرين يلتقيان -

(١) مادة العرفان، الشيخ محمد شقير، ص ١٧.

بينهما برزخ وهذا البرزخ هو الفاصل بينهما، ولكنهما من حيث الوجود متحدان في المكان والزمان، وحقيقتهما واحدة ولكن أحدهما عذب والآخر أشدّ عذوبة!

وهذا باطل؛ فإنّ وجود الله يختلف عن وجودنا، وجود الله عين ذاته، وذات الله فوق أن تُوصف أو تُقاس بال مخلوق، بمعنى أنّه ليس وجود الله شيئاً وذاته شيء آخر كالبشر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما وحدة الموجود فلا تختلف عن وحدة الوجود إلا في اعتقاد عينية ذات المخلوق والخالق عند القائلين بها..

بمعنى أنّ هناك نهراً واحداً فقط، ولكنّ هذا النهر تارة نراه في صورة البول وتارة العرق وتارة العصير وهكذا..

المخلوق عندهم هو عين ذات الخالق، ولكنه ظهر في صور متكررة -والعياذ بالله -!

إنّ سماحة السيد الخوئي (قدّس سره) تكلم عن وحدة الوجود التي هي أقلّ كفرية من وحدة الموجود التي يتبناها ابن عربي؛ لأنّ الوجود حسب الظاهر تبدو حقيقته واحدة في الفكر الساذج البسيط فهذا على رأي سماحته لا يستلزم تكفير قائله (حكماً).

ويبين (قدس سره) أنه يريد وحدة الوجود دون الموجود من كلامه بقوله: «القائل بوحدة الوجود إن أراد أن الوجود حقيقة واحدة ولا تعدد في حقيقته وأنه كما يطلق على الواجب كذلك يطلق على الممكن فهما موجودان وحقيقة الوجود فيهما واحدة والاختلاف إنما هو بحسب المرتبة لأن الوجود الواجبي في أعلى مراتب القوة والتمام، والوجود الممكني في أنزل مراتب الضعف والنقصان وإن كان كلاهما موجوداً حقيقة وأحدهما خالق للآخر وموجد له. فهذا في الحقيقة قول بكثرة الوجود والموجود معاً...».

فتلك هي وحدة الوجود وليست وحدة الموجود، وذلك الكلام في (العمق) ترد عليه إشكالات، ويفنّده كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «الذي لما شبهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته، ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته، وكان عز وجل الموجود بنفسه لا بأداته، انتهى أن يكون قدره حق قدره فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد وارتفاعاً عن قياس المقدرين له بالحدود من كفره العباد: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(١).

فقوله عليه السلام: «وكان عز وجل الموجود بنفسه لا بأداته». أي لما شبهه الجاهلون به تعالى بالمخلوق ذي الصفات الماضي ذكرها في كلام المولى عليه السلام، وكان عز وجل بخلافها حيث أنه موجود بذاته عز وجل لا بأداته.. بمعنى أنه تعالى لا يحتاج إلى الوسائل التي هو سبحانه خالق لها كالمكان، والزمان، والأجزاء، وهي أدوات ووسائل للمخلوق، والخالق غني عنها، فوجوده تعالى وجود قائم بذاته منزّه عن الاحتياج للأداة، وكان تعالى بخلافها؛ لأنّ وجوده تعالى قائم بذاته لا بأداته فقد انتفى عنهم مقام المعرفة الحقة لله تعالى والتقدير بمعنى التوقير والتعظيم لله تعالى.

إنّ وجود الله مغاير لوجود خلقه، ولكن القول بوحدة الوجود يمكن حمله على الجهل بعظمة الله تعالى، ونقص العلم وبساطة وسناجة الفكر لدى من يقول بذلك.

(١) التوحيد، الصدوق، ص ٥٥.

أما وحدة الوجود؛ وهي أنّ الله تعالى بوصفه موجوداً فإنه متحداً مع الموجودات الممكنة - والعياذ بالله - فهو زندقة بيّنة وانحراف فطري عن الإسلام والتوحيد، وهذا (حكم) عليه سماحته بالكفر والزندقة!

فلو كان العرفاء يعتقدون بوحدة الوجود دون الموجود لالتمسنا لهم العذر^(١)، ولكنهم في الحقيقة يعتقدون بوحدة الموجود كما صرّح بذلك الدكتور الشيخ محمد شقير مؤلف مادة العرفان والتي تدرّس في جامعة آزاد الإيرانية (المصطفى) كلية الفلسفة والإلهيات^(٢).

ويقول حسن زادة آملّي: «العارف في هذا المقام - أي مقام الفناء في الذات - يرى جميع أنواع الكائنات المختلفة متحدة كما أن الجاهل يحسبها متكثرة... وفي هذا المقام يتحقق بحقيقة التوحيد وكلمة (لا إله إلا الله) الطيبة، قائلاً بلسان الحقيقة (يا هو يا من ليس إلا هو) فإذاً لا يبقى له ولا للممكنات الأخرى

(١) رغم أن وحدة الوجود قول يتوهمه العقل الضعيف أما العالم العارف فلا يتوهم ذلك.

(٢) مادة العرفان، الشيخ محمد شقير، ص ١٧، جامعة آزاد الإسلامية، كلية الفلسفة والإلهيات.

هوية، بل هوية الكل مضمحل ومتلاشٍ في تجلّي حقيقة الحق^(١)!

فهذا نص صريح وواضح من حسن زادة آملّي على أنّ كل الكائنات متحدة مع الله - أي وحدة موجود - .

إنّ حقيقة وجود الله تعالى لا يمكن إدراكها عقلاً لاستحالة إدراك كنهه جلّ وعلا، وهذا هو الموافق للأخبار والآثار، وإلا كان ذلك إحاطة به من الممكن، وهو أمر لا يمكن أن يقع كما لا يخفى، فالله محيط بالممكنات من كل الجهات إحاطة قدرة وعلم، ومنها الوجود بما هو وجود، فهو ممكن مخلوق له تعالى شأنه.

وليس قولنا: "الله موجود" إلا إثبات حقيقة مجهولة الكنه خارجة عن حدّ التعطيل وحد التشبيه.

أما أهل الزيغ من الفلاسفة والعرفاء فإنهم لنفيهم غيرية الوجود بين الواجب والممكن فقد شبهوا ومثّلوا الله تعالى بخلقه في هذه الصفة إذ جعلوا حقيقة وجوده نفس حقيقة وجود خلقه!

(١) السير إلى الله، حسن زاده آملّي، ص ١٦٤ - ١٦٥.

وهذا باطل عقلاً كما مر، كما أنه باطل شرعاً، فقد قال مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبّهه»^(١).

وقال مولانا الصادق صلوات الله عليه: «من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته وجلّ عن ملائمة كفيّاته».

يقول العلامة المجلسي (رحمه الله) في شرحه: «(تنزّه) أي تباعد وتقدّس عن (مجانسة مخلوقاته) أي أن يكون من جنسها إذ لا يشاركه شيء في المهية»^(٣).

ولآل رسول الله عليهم الصلاة والسلام أحاديث كثيرة يثبتون فيها (الهيمنة) المطلقة لله تعالى على مخلوقاته مقترنة (بالغيرية) لا الوحدة.

(١) التوحيد للصدوق، ص ٣٥.

(٢) التوحيد للصدوق، ص ٨٠.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٤، ص ٣٤٤.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلْقًا مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ (شَيْءٌ) مَا خَلَا اللَّهَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، تَبَارَكَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(١).

■ توحيد بعض الفلاسفة:

قال السيد الخوئي: «بل هو مذهب أكثر الفلاسفة بل مما اعتقده المسلمون وأهل الكتاب ومطابق لظواهر الآيات والأدعية، فترى أنه عليه السلام يقول: «أنت الخالق وأنا المخلوق وأنت الرب وأنا المربوب» وغير ذلك من التعابير الدالة على أن هناك موجودين متعددين أحدهما موجد وخالق للآخر، ويعبر عن ذلك في الاصطلاح بالتوحيد العامي...».

أقول: هذا القول كما هو واضح لا علاقة له بدين العرفاء فكل الآيات والروايات التي يؤولها العرفاء يحاولون من خلال تأويلها إثبات الوحدة وليس الثنائية، ليس عندهم سوى الوحدة؛ لأنهم ينفون الغيرية والإثنية.. هي وحدة لا غير، حتى في عين الكثرة كما يقولون هي وحدة.

(١) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٨٢.

وأما هذا القول «أنت الرب وأنا المربوب» يثبت الثنائية.. كما أنّ السيد الخوئي لم يصنّف (العرفاء) تحت هذا الاعتقاد، فلاحظ هنا أنه يقول: «أكثر الفلاسفة..» أي ليس جميعهم، وليس توحيد العرفاء منهم، حيث سماحته يقول: «توحيد العامة»! وهذا تعريضٌ بالعرفاء؛ لأنه خلاف توحيدهم!

العرفاء يسمون توحيدهم (توحيد خاصة الخاصة)! أو (باطن الخاص)؛ لأنهم يقولون بالوحدة الشخصية الحقيقية.

يقول كمال الحيدري: «وأما التوحيد الأرقى والأعلى مرتبة فهو توحيد أهل الطريقة والحقيقة - العرفاء - وهو المقصود في كلامه - أي حيدر الأملي - بتوحيد الباطن الخاص، وغاية مقصده ومنتهاه وصول الخلق إلى مشاهدة وجود مطلق - الله - والعزوف عن مشاهدة موجودات كثيرة»^(١)!

فتبين إذاً أنّ العرفاء غير مقصودين من القول الأول، فهو يشير إلى توحيد العامة وليس توحيد خاصة الخاصة.

وهناك نوع آخر من الوحدة ويسمى توحيداً خاصياً وقد بين السيد الخوئي (قدّس سره) بطلانه أيضاً فقال: «وهذا المدعى وإن

(١) العرفان الشيعي، كمال الحيدري، ص ١٤٠.

كان أمراً باطلاً في نفسه لا بتناؤه على أصالة الماهية - على ما تحقق في محله - وهي فاسدة لأن الأصيل هو الوجود إلا أنه غير مستتبع لشيء من الكفر والنجاسة والفسق».

أقول: وإن لم يستتبع ذلك عند السيد الخوئي (الحكم) بالكفر والزندقة إلا أنه حكم ببطلانه في جنبه (الموضوع) أي أنه كفر في الآخرة.

■ حقيقة ما يريده العرفاء:

قال السيد الخوئي: «إذا أراد القائل بوحدة الوجود وحدة الوجود والموجود في عين كثرتهما فيلتزم بوحدة الوجود والموجود وأنه الواجب سبحانه إلا أن الكثرات ظهورات نوره وشؤوناته ذاته، وكل منها نعت من نعوته ولمعة من لمعات صفاته ويسمى ذلك عند الاصطلاح بتوحيد أخصّ الخواص، وهذا هو الذي حققه صدر المتألهين ونسبه إلى الأولياء والعرفاء من عظماء أهل الكشف واليقين قائلاً: بأنّ الآن حصص الحق واطمحلّت الكثرة الوهمية وارتفعت أغاليط الأوهام، إلا أنه لم يظهر لنا - إلى الآن - حقيقة ما يريدونه من هذا الكلام. وكيف كان فالقائل بوحدة الوجود - بهذا المعنى الأخير - أيضاً غير محكوم بكفره ولا بنجاسته

ما دام لم يلتزم بتوالٍ فاسدة من إنكار الواجب أو الرسالة أو المعاد».

أقول: بيّنّا في المقدمة بأنّ السيد الخوئي (قدّس سره) كان يناقش الأقوال في مسألة وحدة الوجود في جنبه الفقه، فالبحث فقهي صرف لا كلامي أو فلسفي، لذلك كان يذكر الحكم على كل نوع.

وفي هذا النوع لم يصدر السيد الخوئي (قدّس سره) (الحكم) بالكفر في الدنيا على من يقول بهذا النوع من الوحدة في حال لم يظهر منه إنكار لواجب أو ضروري.

فيقول: «ما دام لم يلتزم بتوالٍ فاسدة من إنكار الواجب أو الرسالة أو المعاد».

هذا الصنف يعتقد بوحدة الوجود أي يثبت وجود الواجب (الله)، ووجود المخلوق، ولكنه أيضاً يعتقد بوحدة الموجود فيقول إنّ الموجودات تجليات لذات الله تعالى - والعياذ بالله -! وهذا قول باطل فذات الله تعالى لا يمكن أن تتجلى بحال في عالم الإمكان، وإلا تكون مخلوقة لا خالقة - والعياذ بالله -.. إنّما المخلوقات (آيات) تتجلى (بها) ومن خلالها عظمة الذات الإلهية وليست هي نفسها (تجليات) الذات الإلهية.

الأمر الآخر أنّ السيد الخوئي صرّح بأنه لم يظهر له المعنى من كلامهم لذلك قال: «إلاّ أنه لم يظهر لنا - إلى الآن - حقيقة ما يريدونه من هذا الكلام...»، ولذلك لم يحكم عليهم بالكفر والنجاسة في الدنيا.

ذكر السيد الخوئي (قدّس سره) أنّ الملا صدرا نسب هذا القول إلى الذين وصفهم الملا صدرا بالأولياء وعظماء أهل الكشف واليقين، وذلك الكلام من الملا صدرا مبهم كما هي عادة القوم في استخدام التورية، وإحاطة أنفسهم بالأسرار والضبابية! «اضمحلّت الكثرة الوهمية»^(١)!

فلو ظهر للسيد الخوئي (قدّس سره) معنى ما يريدونه أي أفصحوا عنه صراحة؛ لأصدر الحكم بالكفر ولكنه وفق اجتهاده لم يصدر هذا الحكم عليهم من خلال عبارات تبدو مبطنّة كتلك! إلاّ أنّ غير السيد الخوئي ممن بدا وتجلّى لهم من خلال تتبعهم وتفحصهم حقيقة ما يريدون قد حكموا عليهم بالكفر كالمرعشي

(١) إنّ الكثرة وهم عندهم وهذه رموز بينهم وهم يعرفون فك شفراتها وكأنهم المنظمة الماسونية! ولفك بعض شفرات عقيدتهم ومعرفة حقيقة ما يعتقدون راجع مقالنا بعنوان (ما معنى الشطح عند العرفاء؟) مدونة (مقالات طالب علم).

النجفي^(١) والسيد الشيرازي^(٢) والشيخ الفياض^(٣) والسيد عبد الحسين دستغيب^(٤) وغيرهم (رضوان الله عليهم).
وعلى كل حال؛ السيد الخوئي لم يصحح هذا القول ولم يقل بأنه عقيدة إسلامية بل على العكس فقد حكم بطلانه - أي أنه ضلال وزيف من حيث الموضوع - إلا أنه لم يحكم على القائل به بالكفر في دار الدنيا إذا لم ينكر الواجب والضروري..
ولو تأمل القارئ الكريم وتتبع أقوال العرفاء وتصريحاتهم لعلم بأنهم لا يعتقدون بهذا القول السابق أصلاً، وإنما يقولون أنه لا يوجد سوى الواجب، وليس هناك سوى وجود واحد وهو الله، وكل ما هو موجود تجليات ذاته - والعياذ بالله - وستتضح للقارئ الكريم هذه الحقيقة فيما يلي.

(١) شرح إحقاق الحق، المرعشي النجفي، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٥.

(٢) موسوعة الفقه، الطهارة، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٣) حكم المرجع الشيخ إسحاق الفياض بزندقه ابن عربي وكفره في تسجيل صوتي يتحدث فيه عن العرفان الباطل.

(٤) أسئلة في مدار العقيدة، السيد عبد الحسين دستغيب، ص ١١ - ١٤، طبعة مؤسسة البلاغ بيروت.

■ كُفْرُ صَرِيحٍ وَزَنْدَقَةٌ ظَاهِرَةٌ:

قال السيد الخوئي: «وإن أراد من وحدة الوجود ما يقابل الأول وهو أن يقول بوحدة الوجود والموجود حقيقة وأنه ليس هناك في الحقيقة إلاّ موجود واحد ولكن له تطورات متكثرة واعتبارات مختلفة، لأنه في الخالق خالق وفي المخلوق مخلوق كما أنه في السماء سماء وفي الأرض أرض وهكذا، وهذا هو الذي يقال له توحيد خاص الخاص وهذا القول نسبة صدر المتألهين إلى بعض الجهلة من المتصوفين، وحُكِيَ عن بعضهم أنه قال: ليس في جبتي سوى الله، وأنكر نسبته إلى أكابر الصوفية ورؤسائهم، وإنكاره هذا هو الذي يساعده الاعتبار فان العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه ويدعي اختلافهما بحسب الاعتبار وكيف كان فلا إشكال في أن الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة، لأنه إنكار للواجب والنبويّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) حيث لا امتياز للخالق عن المخلوق حينئذٍ إلاّ بالاعتبار، وكذا النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأبو جهل مثلاً متحدان في الحقيقة على هذا الأساس وإنما يختلفان بحسب الاعتبار....».

أقول: لقد أنكر الملا صدرا أنّ العرفاء يعتقدون بوحدة الوجود التي تسمى عندهم بتوحيد خاصّ الخاصّ، فنسب هذه العقيدة إلى جهّال المتصوّفة! ونفى أن تكون هي عقيدة كبارهم ورؤسائهم! وسنبيّن كذب هذا الادعاء (من ملا صدرا) في السطور القادمة إن شاء الله.

لقد نسب الملا صدرا هذا القول إلى جهّال المتصوّفة لكي يُوهم الناس بأنّ العرفاء لا يعتقدون بوحدة الوجود التي يقولون فيها بالوجود الواجبي فقط بمعنى أنه لا يوجد سوى الله فقط وليس ثمّة وجود للممكن (المخلوق)، والصحيح أنهم يعتقدون بها وصرّح بهذه العقيدة كبارهم كابن عربي، والرومي (صاحب المثنوي)، وحيدر الآملي، والخميني، وحسن مسقطي، وأخيه الأصغر حسين المسمى بالعالم وغيرهم، وقالوا بكلّ صراحة مقولة الحلاج والبسطامي: «ليس في جبّتي سوى الله» وبرروا التفوّه بها!

وهذه الكلمة هي ترجمان واضح لهذه العقيدة الكافرة لذلك ربطها السيد الخوئي (رضوان الله عليه) بالقول بوحدة الوجود فقال: «وحكي عن بعضهم أنّه قال: ليس في جبّتي سوى الله... فإنّ العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام، وكيف يلتزم بوحدة

الخالق ومخلوقه ويدّعي اختلافهما بحسب الاعتبار؟! كيف كان،
فلا إشكال في أنّ الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة^(١)!
إذاً كل من يصرّح بهذا القول «ليس في جِبتِي سوى الله» أو
يجوّزه يكون في (الحكم والموضوع) كافراً زنديقاً بحسب فتوى
السيد الخوئي (قدّس سره)؛ لأنّ هذا القول من مصاديق الاعتقاد
بوحدّة الموجود.

إنّ مقولة «ليس في جِبتِي سوى الله» هي من لوازم القول بوحدّة
الموجود الكفرية!

يقول العلامة الميرزا حبيب الله الخوئي (قدّس سره) حول هذه
المقولة: «والظاهر صدور هذا الهديان - أي قول ليس في جِبتِي
سوى الله - من خبيث لسانِ كلا الرّجلين - البسطامي
والحلاج - بلا اختصاص له بأحدهما، لأنّه مقتضى القول
بوحدّة الوجود ومن لوازمه...»^(٢).

(١) التنقيح، الخوئي، ج ٣، ص ٨١ - ٨٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة الخوئي، ج ١٣، ص ٢٩٢.

■ هل صرّح العرفاء بهذه العبارة؟

تبيّن مما تقدّم أنّ عبارة «ليس في جبتي سوى الله» من لوازم القول بوحدة الوجود الكفرية، والتي أفتى فيها السيد الخوئي (قدّس سره) بقوله: «لا إشكال في أنّ الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة»!

وهذا الحكم ينطبق على كل من يصرّح بهذا التصريح من العرفاء!

■ ليس في جبتي سوى الله على لسان ابن عربي:

يقول ابن عربي:

ليس في الجبة شيء غير ما ** قاله الحلاج يوماً فأنعموا^(١)
فهذا ابن عربي كبير العرفاء يصرّح بمقولة الحلاج الكفرية، ويعتقد بها لذلك قال هذه العبارة: «ليس في الجبة شيء غير ما» مقرونة بقوله «قاله الحلاج» فهو هنا يؤكّد صحة قول الحلاج! بل يخلّق له التبريرات أيضاً كما سيأتي!

يقول ابن عربي: «قال بعض الرجال - أي الحلاج - ما في الجبة إلا الله وأراد هذا المقام يريد أنه ما في الوجود إلا الله كما لو

(١) الفتوحات المكية، ابن عربي، ج ٢، ص ٣٢٠.

قلت ما في المرأة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في
المرأة شيء أصلاً»^(١)!

أقول: إنّ العرفاء اليوم يسيرون بسيرة ابن عربي، فبدلاً من
قولهم «ليس في جبتي سوى الله» يقولون «ليس في الدار غيره
ديار»!

فابن عربي؛ حلاجي العقيدة فهو كالحلاج تماماً، وقد صرّح
بنفس قوله! «ليس في جبّتي سوى الله» فهو إذن في الحكم
والموضوع كافرٌ زنديقٌ بحسب فتوى السيد الخوئي (قدّس سره).

وقد حكم بزندقة ابن عربي تلميذ السيد الخوئي (قدّس سره)
المرجع الشيخ إسحاق الفياض دام ظله^(٢).

وقد سار العرفاء على دين كبيرهم ابن عربي فأخذوا يسوقون
التبريرات لهذا القول الكفري ويلبسونه ثوب الإسلام!

يقول العارف حسين العالم - وهو الأخ الأصغر للعارف حسن
مسقطي - : «عندما يصل العبد إلى هذا المقام - الفناء في

(١) الفتوحات المكية، ابن عربي، ج٣، ص٧٩.

(٢) حكم المرجع الشيخ إسحاق الفياض (دام ظله) بزندقة ابن عربي وكفره في
تسجيل صوتي يتحدث فيه عن العرفان الباطل الذي يدرسه البعض فيه حوزة
النجف الأشرف!

الذات الإلهية - لا يبقى هناك إلا المحبوب الحقيقي، فكما أن الفراشة عندما تحترق بالنار لا يبقى منها إلا النار، كذلك السالك حينما يفنى في النور لا يبقى منه إلا النورانية. وعند وصوله إلى هذا المقام، بأي طرف يرنو بنظره لا يرى غير الله، وعندما ينظر إلى نفسه لا يجد لنفسه أثراً، فتخرج الصيحة منه بلا اختياره "لا إله إلا أنا فاعبدوني"، أو "سبحاني ما أعظم شأني"، أو "ليس في جبتي سوى الله تعالى". لماذا يقول ذلك في حين أنه ليس الله؟ يا عزيزي كلما يرنو بنظره لا يرى نفسه... فهو فاني. فماذا يفعل فإنه لا يرى غير المحبوب. وعندها يتكلم لا بلسانه بل بلسان الله يتكلم»^(١).

يقول هذا العارف بأن الله هو الذي يتكلم على لسان العرفاء!

فيقول الله ليس في جبتي سوى الله - والعياذ بالله -!

فهل بعد هذا الكفر كفر؟!!

(١) قدوة الفقهاء والعرفاء، تقي الموسوي، ص ٢٨٦.

■ ليس في جبتي سوى الله على لسان صاحب المثنوي:

يقول جلال الدين الرومي: «عندما طارت عنقاء الانسلاخ عن
الذات بدأ أبو اليزيد -البسطامي - في ذلك الكلام -أي
تصريحه بقوله ليس في جبتي سوى الله -

- اختطف سيل الحيرة منه العقل فنطق بأفزع مما نطق به في

البداية!

قال -البسطامي - ما في الجبة غير الله فالإلام بحثك في الأرض

والسماء؟

- فجن أولئك المريدون جميعاً وأخذوا يطعنون جسده الطاهر

بالمُدَى! -أي طعنوا جسد البسطامي بالسكاكين -

كان كل واحد منهم كملحدى (كزده كوه) قد أخذ في طعن

شيخه (البسطامي) دون انقطاع!

وكان كل من يطعن الشيخ بسلاحه يرتد إليه ويمزق جسده هو!

ولم يكن هناك أثر واحد على جسد صاحب الفضل ذاك -أي

البسطامي - ، وأولئك المريدون جرحى وغرقى في الدم!

فكل من وجه في صدره مزق صدره هو وأصبح ميتاً إلى الأبد!

وذلك الذي كان عارفاً - نصف معرفة - بمقام ذلك السلطان -
البسطامي - لم يطاوعه قلبه على أن يطعنه طعنة ثقيلة!
لقد قيدت نصف معرفة يده فكسب روحه إلا أنه جرح نفسه
فحسب.

وانتهى اليوم وقد ارتفع النواح من بيوت أولئك المريدين
الناقصين!

ذلك أن المنسلخ عن الذات فإن في الله وآمن وهو ساكن إلى الأبد
في الأمن.

لقد صارت صورته فانية وصار هو امرأة ولا يبدو في المرأة إلا
صورة وجه الغير.

فإن بصقت في المرأة فإنما تبصق على نفسك وإذا ضربت أمام
المرأة فإنك تضرب نفسك.

وإذا رأيت وجهاً قبيحاً فهو وجهك وإن رأيت عيسى بن مريم
فهو أنت أيضاً^(١)!

أقول: لقد بينا في بحوث سابقة بأن العرفاء لا يكشفون عن
عقيدتهم الأصلية، ولا يصرحون بها أمام الناس فهي عندهم سر

(١) المتنوي، جلال الدين الرومي، ج٤، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

من الأسرار التي لا يمكن كشفها إلى غيرهم بل لا يكشفونها حتى
للسالك نفسه إلا إذا تعدى مرحلة الشريعة والطريقة، ووصل إلى
مرحلة الحقيقة!

فهم لا يكشفون عن هذا السر للسالك إلا بعد عملية إعادة برمجة
دماغ تامة، تبدأ بجهاده بالرياضات النفسية لكي يختل عقله
أولاً، ثم بعد ذلك يسهل اعتقاده بهذه الخزعبلات!
ولكن أبا يزيد البسطامي صرّح بهذه العقيدة أمام مريديه وهم في
بداية السلوك لذلك ثاروا عليه وطعنوه بالسكاكين!

فيقول الرومي المعتقد بوحدة الوجود: «قال -البسطامي - ما
في الجبة غير الله... فجنّ أولئك المريدون جميعاً وأخذوا يطعنون
جسده -أي البسطامي - الطاهر بالمدى»!

ولأنه كان في حالة الفناء المطلق مع الله والتي عبر عنها الرومي
بقوله: «أن المنسلخ عن الذاتِ فانِ في الله وآمن وهو ساكن إلى
الأبد في الأمن، لقد صارت صورته فانية وصار هو مرآة ولا يبدو
في المرآة إلا صورة وجه الغير».

فأصبح البسطامي عين ذات الله؛ لأنه فني في الذات الإلهية! فهو
الله والله هو -والعياذ بالله - فقد فنت صورة البسطامي
فأصبحت (عين) الذات وبهذا تحول إلى مرآة تبدو فيها صورة

وجه الكائنات الأخرى. فحتى المريدون على هذا هم ذات الله ولكن لا يشعرون.

ما الذي يراه الإنسان في المرأة؟ صورته؟ أي عند ذلك الزنديق المخلوق يرى من خلال النظر إلى الخالق انعكاس صورته! أي ليس يوجد شيء في الحقيقة سوى المخلوق وبهذا يكون هو الله -والعياذ بالله -!

يقول الرومي: «إن بصقت في المرأة فإنما تبصق على نفسك وإذا ضربت أمام المرأة فإنك تضرب نفسك، وإذا رأيت وجهها قبيحاً فهو وجهك وإن رأيت عيسى بن مريم فهو أنت أيضاً!» كل شيء هو أنت وأنت كل شيء!

المريدون الجهلة لم يكونوا يعلمون بأنهم عين ذات الله، ولم يعلموا بأنّ البسطامي فان في الذات الإلهية! فهم إذا طعنوا البسطامي يطعنون أنفسهم!

أما الذي كانت عنده نصف معرفة بعقيدتهم وحدة الوجود لم يطعن شيخه بقوة ولو كان عنده النصف الآخر لأيقن بأنه لا يستطيع الطعن في الذات الإلهية!

هكذا يعرض الرومي (صاحب المثنوي) عقيدته وحدة الوجود فهو على دين الحلاج والبسطامي، والعرفاء تبعاً له يعتقدون بهذا الاعتقاد الكافر! فلا تجد أحداً منهم إلا ويمجد المثنوي وصاحبه!

■ ليس في جبتي سوى الله على لسان حيدر الآملي:

يقول حيدر الآملي: «إعلم أن الفقر هو عدم التملك مطلقاً حتى عن وجوده وكل شخص يحصل له هذا الفقر على ما ينبغي لا شك أنه يخرج من حكم الوجود الإضافي الإمكانية وإذا خرج من حكم الوجود الإضافي الإمكانية لا بدّ وأن يدخل في حكم الوجود الحقيقي الواجبي الكلي لأن الشيء إذا جاوز حدّه انعكس ضدّه، والوجود إما واجبي أو إمكانية والاتصاف بأحدهما ضروري فافهم وحقق معنى قولهم: إذا تم الفقر فهو الله! واعرف بالحقيقة أن افتخار النبي عليه السلام بالفقر لم يكن إلا بمثل هذا، وسبحاني ما شأنني ليس إلا في هذا المقام وكذلك أنا الحق ومن مثلي وهل في الدارين غيري وليس في جبتي سوى الله وأمثال ذلك»^(١)!

(١) تفسير المحيط الأعظم، حيدر الآملي، ج ٢، ص ٤٣١.

أقول: يعترف الآملي هنا بكل صراحة بأن كل شخص يحصل له هذا الفقر الذي يعني الفناء المطلق في الله، يخرج من حكم الإمكان (المخلوقات) إلى حكم الواجب (الله) فيصبح هو والواجب شيئاً واحداً!

ولكي لا تتوهم أنه يقصد شيئاً آخر جاء لك بنصوص المتصوفة ليؤكد على هذا المعتقد الكافر فقال: «وسبحاني ما أعظم»^(١) شأني ليس إلا في هذا المقام وكذلك أنا الحق، ومن مثلي، وهل في الدارين غيري، وليس في جبتي سوى الله» وأمثال ذلك! فهو إذاً يعتقد بوحدة الوجود والموجود (حقيقة)، وأنه ليس هناك في الحقيقة إلاّ (موجود واحد) هو الله، وهي ما تسمى بـ (توحيد خاص الخاص).

إنّ ما يعبرون عنه في محاولات التمويه بالفناء في الذات الإلهية، والحب والعشق هو محض سلوكٍ عملي عبادي يتم تكريسه لتثبيت أصل اعتقادي عندهم وهو وحدة الوجود.

(١) سقط من الأصل كلمة (أعظم) والصحيح ما أثبتناه.

■ ماذا عن نسبة الملا صدرا عقيدة العرفاء للجهال؟

نرجع للملا صدرا الذي نسب هذه العقيدة إلى جهّال المتصوفة
ونقول له :

هل ابن عربي من جهّال المتصوفة؟

وهل الرومي من جهّال المتصوفة؟

وهل حيدر الآملي من جهّال المتصوفة؟

وهل فلان وفلان وفلان... من جهّال المتصوفة؟

كل هؤلاء صرّحوا بهذه العقيدة وبرروا قول «ليس في جبتي
سوى الله»! وهم من كبار القوم بل أكبرهم فابن عربي هو
شيخهم الأكبر وقد صرّح بقوله :

ليس في الجبة شيء غير ما ** قاله الحلاج يوماً فأنعما^(١)

وهذه المقولة : «ليس في جبتي سوى الله» مشهورة على لسان أبي
يزيد البسطامي ومتواترة عنه ، ولكن الملا صدرا ينكر ذلك أيضاً
ويدافع عن البسطامي !

يقول المقدّس الأردبيلي في حديقة الشّيعية : «إنّ هذه الطائفة أي
الصوفيّة كانوا يؤدّون في المجالس بعض أسرارهم الكفريّة بالرّمز

(١) الفتوحات المكية، ابن عربي، ج ٢، ص ٣٢٠.

والإشارة إلاّ أبو يزيد (البسطامي)، فإنّه يقول مكرراً غير هائب و
لا محتشم: ليس في جبّتي سوى الله و سبحاني سبحاني ما أعظم
شأنِي»^(١)!

لقد وضّح المقدّس الأردبيلي هنا بأنّ المتصوّفة يخفون كفرهم
باستخدام الرموز والإشارات، أما أبو يزيد البسطامي كان يجاهر
بالكفر وبدون خوف ولا خجل ولا حياء فيقول: «ليس في جبّتي
سوى الله»!

فهي مقولة مشهورة جداً على لسان البسطامي، إلا أنّ الملا صدرا
يداري ويتستّر على سر عقيدتهم الكافرة بمثل ذلك الإنكار
السمح المفضوح الذي يستخف فيه بعقول الناس كعادته!
يقول الملا صدرا: «أما أبو يزيد البسطامي، فلا يصح عنه ما
حُكي عنه لا لفظاً ولا مفهوماً ولا معنى. وإن ثبت أنه سُمع منه
ذلك، فلعله كان يحكي عن الله تعالى في كلام يردد في نفسه، كما
لو سَمع منه وهو يقول: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي» فإنه
لا ينبغي أن يقال ذلك إلا على سبيل الحكاية»^(٢).

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة الخوئي، ج ١٣، ص ٢٩٧.

(٢) كسر أصنام الجاهلية، الملا صدرا، ص ٤٨.

فإذا كان الملا صدرا ينكر المسلّمات هكذا بكل وقاحة ؛ لأجل عين أبي يزيد البسطامي وأتباعه ، ويُجمّل الوجه القبيح لأقواله الكفرية فما ظنك به حين يتستر على شيخه الأكبر ابن عربي وغيره من كبار العرفاء؟!

■ كيف هدم السيد الخوئي عقيدة العرفاء في عبارة

واحدة؟

يقول السيد الخوئي : «إنكاره هذا هو الذي يساعده الاعتبار». ملا صدرا مُجبرٌ لا بطل ، وليس أمامه سوى الإنكار لكون إنكار تلك الخزعبلات هو ما يؤيده الاعتبار عند العقلاء ، وهو يعلم أنه لا عاقل يقبل بمثل تلك المقولات الكفرية. وأما ما ذكره السيد الخوئي إنكار ملا صدرا لهذه العقيدة الكفرية فهو محض حكاية عنه ، وسماحته هنا قد هدم ونقض تلك العقيدة الكفرية في سطر واحد بنقله ذلك الإنكار من الملا صدرا وهذا في مقام الاحتجاج يخرج العرفاء وأتباعهم. فإن كان اعتقادهم حقاً ولا معابة عليه فلماذا ينسبه الملا صدرا إلى من أسماهم جهّال المتصوفة! وهذه النقطة قد تنبّه لها الخميني فأنبرى للرد على الملا صدرا كما سيتبين خلال السطور القادمة.

■ اعتراض الخميني على ملا صدرا:

أنكر الملا صدرا هذه العقيدة المشحونة بالكفر، ونسبها إلى جهال المتصوفة، ولكن الله يظهر الحق على ألسنتهم كما هي سنته تعالى على مدى الأعصار! لقد نقلنا بعض تصريحات العرفاء التي جرت على ألسنتهم وهي تدل على اعتقادهم بهذه العقيدة الإلحادية!

إنّ العرفاء قوم يحيطون أنفسهم بالضبابية ويتحايلون ويتلونون ويتناقضون فعقائدهم باطنية، ويمارسون ما يشبه التقية من المؤمنين الموحدين الذين يسلقونهم بأحدّ لسان وينبذونهم، ولكن الله يفضحهم فهم لا يتمكنون من إخفاء مودتهم للزنادقة من المتصوفة فمودتهم لهم مصدرها تشابه قلوبهم.

ورغم أنّ الملا صدرا تصدر منه بعض التصريحات في هذه العقيدة (وحدة الوجود) ويدافع عن الزنادقة المعتقدين بها، إلا أنه من جانب آخر لم يستوعب مقامات هذه العقيدة جيداً كما يبدو، وهذا ما كشفه كبير العرفاء في هذا العصر!

فحينما نسب هذه العقيدة (وحدة الوجود) إلى جهال المتصوفة غضب الخميني عليه فأخرجه من زمرة العرفاء الواصلين!

يقول مصطفى الخميني: «قوله جهال المتصوفة.

أقول: هو - أي الملا صدرا - قدس سره متهم في نقل كلمات الأكابر - المتصوفة - ، وقد سمعت من والدي العارف - الخميني - الجامع بين العلم والعمل أنه - أي الملا صدرا - ليس من أهل هذا العلم فلا وجه لتصرفه في مقالتهم ولذلك ترى إنكار بعض ما هو بديهي عندهم منه مثل قاعدة «كل شيء في كل شيء» بل هي خفية على أرباب العقول - الفلاسفة - وجملة على أصحاب الشهود - العرفاء -»^(١)!

أقول: يبين الخميني هنا بأن الملا صدرا مائلٌ إلى الفلسفة أكثر منه إلى العرفان فلذلك لم يستوعب مقامات عقيدة العرفاء (وحدة الموجود) بشكل جيد فأنكر بعض المسلّمات عندهم ونسبها إلى جهال المتصوفة!

■ الخلاصة:

انكشف من خلال ما تقدّم؛ الالتباسُ الذي وقع فيه بعض المؤمنين حول تعليقة السيد الخوئي (قدس سره) على وحدة الوجود، وقد بيّنّا بأن العرفاء يعتقدون بوحدة الموجود الحقيقية لا

(١) تعليقات على الحكمة المتعالية، مصطفى الخميني، ص ٦١٩.

وحدة الوجود فقط ؛ لأنهم يصرّحون بمقولات كفرية هي من لوازم القول بوحدة الموجود الحقيقية الكفرية كقولهم (أنا الحق) و «ليس في جبتي سوى الله» و «سبحاني ما أعظم شأني».

وقد بيّنا بأنها كفر وزندقة والقائل بها محكوم بالكفر بحسب فتوى السيد الخوئي (قدّس سره) حيث قال : «وحكي عن بعضهم أنّه قال : ليس في جبتي سوى الله... فإنّ العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام، وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه ويدّعي اختلافهما بحسب الاعتبار؟! كيف كان، فلا إشكال في أنّ الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة»^(١)!

كما كشفنا سخافة ادعاء الملا صدرا وبطلانه حينما أنكر اعتقاد العرفاء بهذه العقيدة ونسبها إلى جهال المتصوّفة ليتستر على كبارهم بسلاح الإنكار كما فعل ذلك حينما دافع عن البسطامي الذي اشتهر عنه قوله : «ليس في جبتي سوى الله» فأنكر المقولة من رأس!

وقد فعل ذلك خوفاً من نقمة المؤمنين، بينما امتعض الخميني من مقالة ملا صدرا تلك وكشف عن كون الملا صدرا كان فيلسوفاً

(١) التنقيح، الخوئي، ج٣، ص٨١ - ٨٢.

أكثر منه عارفاً لذا لم يستوعب مقامات عقيدة وحدة الوجود جيداً فأنكر بعض المسلّمات عندهم ونسبها إلى جهال المتصوّفة. ولهذا لا ينفع المدافعين عن العرفاء التشدّد بتعليقة السيد الخوئي (قدّس سره) حول وحدة الوجود لأن السيد حكم بكفرية عقيدتهم وحكم بطلانها في نفس هذا التعليق.

هذا وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

طالب علم

١٥ / ٦ / ١٤٣٥ هـ

المحتويات

٥	■ المقدمة
٧	■ منشأ الأوهام حول وحدة الوجود عند العوام
٨	■ ما هي تعليقة السيد الخوئي؟
١٣	■ شرح وتفصيل تعليقة السيد الخوئي (قدّس سره)
١٤	■ عن أي وحدة تحدّث السيد الخوئي (قدّس سره)؟
٢٢	■ توحيد بعض الفلاسفة
٢٤	■ حقيقة ما يريده العرفاء
٢٨	■ كفرٌ صريحٌ وزندقةٌ ظاهرة
٣١	■ هل صرّح العرفاء بهذه العبارة؟
٣١	■ ليس في جبتي سوى الله على لسان ابن عربي
٣٤	■ ليس في جبتي سوى الله على لسان صاحب المثنوي
٣٨	■ ليس في جبتي سوى الله على لسان حيدر الأملي
٤٠	■ ماذا عن نسبة الملا صدرا عقيدة العرفاء للجهال؟
٤٢	■ كيف هدم السيد الخوئي عقيدة العرفاء في عبارة واحدة؟
٤٣	■ اعتراض الخميني على ملا صدرا
٤٤	■ الخلاصة



إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَايَا انْتِحَالَ أَهْلِ
الْبَاطِلِ صِفَةَ أَهْلِ الْحَقِّ، وَلِبَسَ أَهْلِ
الْفَسَادِ لِبُوسَ أَرْبَابِ الصَّلَاحِ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا إِدْعَاهُ الْقَوْمُ مِنْ نِسْبَةِ مَا
هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الزُّنْدُقَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ
مَعُولِينَ عَلَى النُّصُوصِ الشَّرِيفَةِ كَقَوْلِ
الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الْعَارِفُ بِنَا لَا
يَأْخُذُ إِلَّا عَنَا" وَأَمْثَالَهَا..

فَالِإِلْزَامُ بَيَانِ فُسَادِ دَعَاوَاهُمْ الْبَاطِلَةَ،
وَأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ مِنَ الْعَرَفَانِ فِي
شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْعَارِفَ فِي كَلَامِ مَشَاكِي
الْعَصْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ هُوَ الْمُسْلِمُ
لَهُمْ، وَالْأَخْذُ بِكَلَامِهِمْ، وَالْمَعْتَقِدُ
لِعَظِيمِ قَامَاتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ.

وَأَمَّا مَا حَمَلَهُ الْقَوْمُ فِي أَجْوَابِهِمْ مِنْ
تَنْنِ الْكُفْرِ وَالزُّنْدُقَةِ فَقَدْ سَمَاهُ آلُ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَصَوُّفًا؛ فَكُلُّ مَنْ
جَنَحَ إِلَيْهِ وَدَانَ بِهِ كَانَ مَتَصَوِّفًا، سَوَاءً
كَانَ مِنْ مَتَصَوِّفَةِ الْعَامَّةِ أَمْ مَتَصَوِّفَةِ
الشَّيْعَةِ.